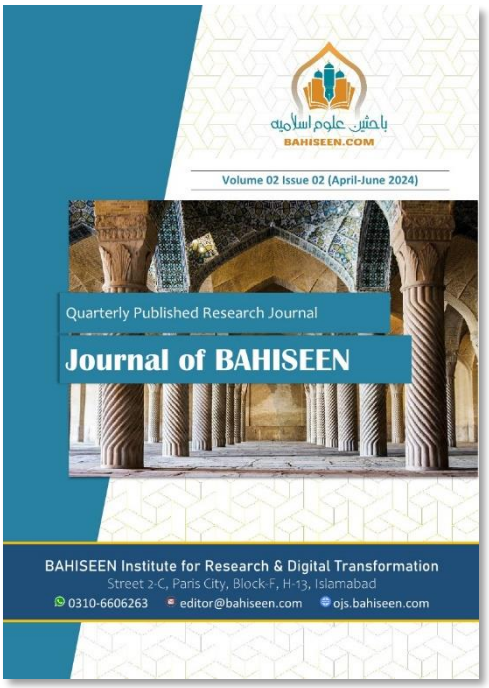

Title
Journal of BAHISEEN
Issue
Volume 02, Issue 02
April-June 2024
ISSN
ISSN (Online): 2959-4758
ISSN (Print): 2959-474X
Frequency
Quarterly
Copyright ©
Year: 2024
Type: CC-BY-NC
Availability
Open Access
Website
ojs.bahiseen.com
Email
editor@bahiseen.com
Contact
+923106606263
Publisher
BAHISEEN Institute for Research & Digital Transformation, Islamabad

التخطيط الشخصي في السيرة النبوية:المنهج والقدوة

(الانتقال بالدعوة من السِّرِّية إلى الجهرية)

Personal Planning in the Prophet's Biography: Approach and Example

مهنا نعيم نجم

عضو هيئة العلماء والدعاة – القدس

مشرف أكاديمية سفراء التنمية العالمية

Abstract:

Personal strategic planning is not the result of the current time, rather it is ancient, its names differ from one era to another, but its pillars are similar, its means are multiple, and its results converge. Which is what the Prophet, may God bless him and grant him peace, did. And "The biography of the Chosen One, may God's prayers and peace be upon him, is full of situations that indicate good planning and planning. Planning in its general concept is a means to achieve the desired message, by defining the goals that we seek to achieve within the programs prepared for that, and it is based on predicting the future in terms of appreciation, not in terms of certainty. Because the future is something unseen that only God knows.

Keywords: Personal Planning, Prophet's Biography, Personal Development, Approach of Personal Planning

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن اتباعَ المنهج النبوي وأساليبه فيه الاتساء بالنبي صلى الله عليه وسلم، الذي هو أسوة حسنة لنا؛ لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21]، يترتب على ذلك حصول الأجر العظيم من الله تعالى إذا خلصت النية.

وإذا ما نظرت في سيرته صلى الله عليه وسلم، لمست بشكل واضح حسن التوكل على الله تعالى، ثم الأخذ بالأسباب، والإعداد والتخطيط المحكم، والتنظيم الرائع المنظم.

ومن خلال استعراض عناصر التخطيط، تجد أن تحديد الأهداف المبتغاة، وإعداد الوسائل اللازمة لتحقيق تلك الأهداف، وخريطة التنفيذ، ومحاولة استشراف المستقبل بناءً على مجريات الأحداث، بحيث يكفل الوصول إلى نتائج مرضية قريبة من تلك الغايات التي خطط لها، إن لم نقل تحقيق الأهداف بشكل كامل، وهذا يعني تحقيق الرؤيا والرسالة.

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يخطط برؤية استشرافية إلى صياغة سياسة عامة، وخطة إستراتيجية بعيدة المدى، بل لا يوجد رسالة نابعة عن أي خطة إستراتيجية استمرت أكثر من 100 عام سوى تلك التي صاغها النبي صلى الله عليه وسلم، وسار عليها من بعده الخلفاء والأمراء والمسلمون على حد سواء.

إن من الأهمية بمكان أن يكون لدى كل مسلم نظرة عامة لما عاشه النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يدفعه إلى أن يضع خطة لحياته التي لن تتوقف بالموت، بل تتعداه للآخرة، لتحقيق الهدف السامي العالي، ألا وهو دخول الجنة والاستمتاع بما فيها من خيرات أعدت للمتقين.

فالتخطيط وسيلة مهمة، ومرتكز انطلقت من خلاله دعوة الإسلام، وتجلى ذلك في كثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ومنها قوله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: 48]؛ أي: سبيلًا وسنَّة، وطريقًا سهلًا واضحًا إلى المقاصد الإسلامية (الصابوني: 524).

فاهتم الرسولُ صلى الله عليه وسلم بالتخطيط الإستراتيجي، في بناء الدولة الإسلامية وأركانها، وكذلك عناصرها، وبشكل أساسي العنصر البشري، الذي يهمنا في هذه الدراسة الإستراتيجية التي اتبعت في نقل الدعوة من السرية إلى الجهرية..

وقد قسمتها لثلاثة مباحث، وفي كل باب شرح وتفصيل وتوضيح:

المبحث الأول/ تشخيص عام للحالة التي سبقت إعلان الدعوة (البيئة الداخلية: نقاط القوة والضعف).

المبحث الثاني/ تسليط الضوء على أحداث دار الأرقم بن أبي الأرقم (البيئة الخارجية: التحديات والفرص).

المبحث الثالث/ التصور العام للخطة الاستشرافية للنبي صلى الله عليه وسلم.

ثم خاتمة فيها خلاصة هذا الموضوع.

وأما طريقة عملي في هذا الكتاب، فهي كما يلي:

الآيات القرآنية كلها بالرسم العادي، وبلون مختلف عن سواها من الكلمات، والأحاديث النبوية تم تخريجها في الهامش بشكل مختصر، وهناك بعض الأحاديث كررت، ولكن في كل مرة يستنبط منها شيء جديد.

ثم للأمانة العلمية أشرت لما استفدت منه من مصدر ومرجع، أو مقال وموقع، فرددته لصاحبه، وأشرت لمصدره.

وقد ذكرت فيها نقاطًا وجيزة بناءً على ما يتطلبه البحث، ويتضح المعنى به، من غير إخلال مقصود، أو تجاهل مرفوض.

ومزجت بين متانة النص، وأهمية الموضوع، مع متعة الأسلوب؛ ليزداد القارئ شوقًا، فلا يمل ولا يفتر، حتى ينهي قراءة ما كتبت، وذلك توفيق من الله تعالى، ولا أزكي على الله نفسي.

مدخل عام

إن التخطيط الإستراتيجي الشخصي ليس وليد الزمن الحالي، بل هو قديم، تختلف أسماؤه من عصر لآخر، ولكن تتشابه أركانه، وتتعدد وسائله، وتلتقي نتائجه، ومن أهم معالم التخطيط المميز: توافر المعلومات الدقيقة ذات الجودة العالية من حيث الكم والنوع والوقت، التي يتحصل عليها، وهو ما فعله النبيُّ صلى الله عليه وسلم.

و"إن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم مليئة بمواقف تدل على حسن التخطيط والتدبير؛ فلعل أروع خطة في التخفي من العدو الطالب، والقدرة في التغلب على كل المصاعب، والوصول للهدف الذي أنت له طالب، لا تحتاج إلا لعقلٍ ورأيٍ صائب"[1].

والتخطيط في مفهومه العام وسيلة لتحقيق الرسالة المنشودة، من خلال تحديد الأهداف التي نسعى لتحقيقها ضمن البرامج المعدة لذلك، ويكون مبنيًّا على التنبؤ بالمستقبل على وجه التقدير، لا على وجه الجزم؛ لأن المستقبل أمر غيبي لا يعلمه إلا الله.

المبحث الأول

تشخيص عام للحالة التي سبقت إعلان الدعوة

(البيئة الداخلية: نقاط القوة والضعف)

ويشمل:

المطلب الأول: تحديد الحالة التي كانت موجودة في تلك الفترة.

المطلب الثاني: توضيح بعض نقاط القوة في تلك المرحلة.

المطلب الثالث: توضيح بعض ما اعترى تلك المرحلة من ضعف.

المطلب الرابع: تلخيص الحالة.

المطلب الأول

تحديد الحالة التي كانت موجودة في تلك الفترة

كان عمر النبي صلى الله عليه وسلم في تلك المرحلة أربعين عامًا، مما يشير إلى حسن تفكير الرجال في هذا السن، ورزانة عقولهم، وحكمتهم؛ قال تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف: 15]، وهذا يدفعك إلى البدء الفوري بإعداد خطتك الإستراتيجية من الآن؛ لتتمكن من خلالها من تحقيق أهدافك التي توصلك لرسالتك.

إشارة

بلوغ سن الأربعين يعني جني ثمار التخطيط، مع احتمالية إجراء بعض التعديلات البسيطة التي لا تؤثر على جوهرها.

ثم إن السرية بالتخطيط بداية هي أحد أسباب نجاحه، بحيث لا يطلع على خطتك الكاملة سواك، حتى تكتمل، وهذا ما يؤيده حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان))[2]، وكذلك عنصر المفاجأة قوله صلى الله عليه وسلم: ((... والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون))[3].

والسِّرِّية في بداية الدعوة كانت لضرورة فرضها الواقع، فكانت سمة السرية التامة، وعدم الحديث بها، إلا لمن غلب على ظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أهل للسر، ودليل ذلك لما رأى علي بن أبي طالب، وهو غلام، النبي صلى الله عليه وسلم وأمنا خديجة رضي الله عنها يصليان، فقال: "يا محمد، ما هذا؟ قال: ((دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وأن تكفر باللات والعزى))، فقال علي: هذا أمرٌ لم أسمع به قبل اليوم، فلستُ بقاضٍ أمرًا حتى أحدث به أبا طالب، فكره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له: يا علي، إذ لم تسلم فاكتم..))[4].

ثم كانت دعوته صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصِّدِّيق؛ إذ إن أبا بكر كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وكان يعلم من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق، فكيف يكذب على الله؟ فأسلم معه وصدقه.

وصار على نفس السجية أبو بكر الصِّدِّيق – رضي الله عنه – في الدعوة، "فجعل لما أسلم يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثِق به من قومه، ممن يغشاه، ويجلس إليه.."[5].

إشارة

أهمية التركيز في التخطيط، وعدم التخبط والتعجل؛ "فمن تعجَّل الشيء قبل أوانه، عوقب بحرمانه"، والبحث عن الوسائل والبدائل في ذات الوقت لإعداد خطة إستراتيجية محكَمة تكون أساس نجاح تلك الخطة.

إن الحالة التي تزامنت مع دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة، صاحَبَها سرية تامة، استمرت ثلاث سنوات، وقد اعتبرتها بمثابة الخطة الإستراتيجية القصيرة المدى؛ إذ إن الأمر بالنسبة لقريش وسواهم من المشركين محدَث، ويخالف ما عرف بداهة، وهذا ما تلمسه عند من وضع خطته الإستراتيجية المكتوبة، فكثير من أقرانه

يتعجبون من ذلك، ولا يجدون مبررًا له، بينما هو عاكف على أمره، يرسم ويخطط ويجتهد في تحقيق أحلامه واحدًا تلو الآخر، حتى يقول له من استهجن أمره بداية: كيف وصلت لهذا؟!

"ولا شك أن المتابع لسير الدعوة، وللكيفيات التي واجه بها النبي صلى الله عليه وسلم الواقع، وحرَّك بواسطتها الأحداث من حوله – يلاحظ أن خطواته صلى الله عليه وسلم كانت مضبوطة ومنسقة ومدروسة، لا مكان فيها للعفوية والارتجال وسوء التقدير؛ لأنها تصدر عن خطة عمل محدودة الأهداف والوسائل الإجرائية، على ضوء إحاطته التامة بالواقع، وتقديره لموقف البيئة المحيطة بالدعوة"[6].

إشارة

من الأهمية بمكان: المحافظة على سرية تخطيطك؛ لأن كثيرًا من النجاحات التي تتحقق في مجالات مختلفة في الحياة مردها السرية، وعدم نشر كافة عناصر خطتك، مما قد يؤثر سلبًا على مسار تنفيذها، وتأخر تحقيقها؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يعلن عمن أسلم معه، سوى عن زوجته خديجة بن خويلد، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهذا يدل على إعداد خطة محكمة، بهدوء ودراسة.

المطلب الثاني

توضيح بعض نقاط القوة في تلك المرحلة

تختلف وجهات نظر الناس لذات الأمر، بينما تجتمع متفقة إذا وحَّدتهم الرسالة، وأصبحوا جزءًا من خطة هذه الرسالة، كما هي رسالة الإسلام التي جاء بها صلى الله عليه وسلم؛ فليس غريبًا أن تجدهم – صغيرًا أو كبيرًا، رجالا أو نساءً – يتفقون على تحقيق الأهداف التي رسمها النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ إن رسالة الإسلام هي التي جمعتهم؛ فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم قوله: ((وذمة المسلمين واحدةٌ، يسعى بها أدناهم))[7].

إن ما يوضح بعض نقاط القوة التي ساندت تلك المرحلة، بالرغم من ألمها وتعبها والاضطهاد الذي كان فيها: أنها تميزت بركائز قوية حافظت عليها، ودفعت بها للنور، وكان بعضها سببًا في استمراريتها، ولعلي أوجزها شارحًا بعضها على النحو التالي:

أولاً: سيرته العطرة صلى الله عليه وسلم قبل البعثة؛ فهو الصادق الأمين، صاحب الخُلق الرفيع، والابتسامة المشرقة، واليد الحانية، أجمعت عليه كل قريش يوم وضع الحجر الأسود؛ فقد صح عن أمنا خديجة رضي الله عنها في ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم – قبل البعثة – التي حببت فيه الخَلْق، وكذلك لازمته بعد النبوة، فقالت: "إنك لتصل الرحم، وتصدُقُ الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتَقْري الضيف، وتُعين على نوائب الحق"[8].

إشارة

المتحف الشخصي الخاص به صلى الله عليه وسلم مليء بالمواقف التي حببت فيه الخَلْق، وهذا ما يجب أن يدركه المخطط لنفسه، بحيث يكسب الله، ثم الناس، من خلال مواقفه وأعماله، وليس فقط أقواله، فقبل دعوتهم وقبل

الحديث إليهم، لا بد أن يكون قدوة ومثلاً لما سيقوله، ومما اشتهر من الأقوال: "إن الذي أنت عليه، يجعل في أذني صممًا من سماعك".

ثانيًا: الاستقرار العائلي والأسري، إن المكانة التي يكون عليها الإنسان في عائلته ومجتمعه هو من يؤسس ركائزها وأعمدتها، وسيجد ثمارها، سواء في القريب العاجل أو البعيد الآجل؛ فمكانة النبي صلى الله عليه وسلم لدى قومه مرموقة، وعند عشيرته مشهودة، ولدى أهله وخاصته محمودة.

وإن ما كان عليه صلى الله عليه وسلم مع زوجته خديجة رضي الله عنها غنيٌّ بالإشارات والتوجيهات التربوية، والأسس السليمة الكفيلة ببناء أسرة صالحة، تكون لَبِنةً أساسية قوية لبناء المجتمع الإسلامي المنشود، ضمن الخطة الاستشرافية التي رسمها النبيُّ صلى الله عليه وسلم للدولة التي يريدها الله عز وجل في الأرض وفق المنهج الرباني.

إشارة

المخطِّط الناجح: هو من ينجح بداية مع نفسه، ثم أهله، وإلا أتداوي الناس وأنت عليل؟!

ثالثًا: الاستقلال المالي، وعدم التبعية يعطي الإنسان قوة قد لا تقارن في بعض الأحيان والظروف؛ فالإغراء الكبير الذي وضعه كفار قريش لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يجدِ نفعًا معه؛ لأن ضعفاء النفوس هم من يبحثون عن الجاه والمال.

فلما جاء عتبةُ بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "إن كنت تريد مالًا جمعنا لك حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد شرفًا سوَّدناك وملَّكناك.."[9]، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتفت لما قاله، ورد عليه بموضوع آخر، وتلا عليه آياتٍ بينات.

وهذا يدل على الاستقرار المالي الذي كان فيه النبيُّ صلى الله عليه وسلم؛ فكان تاجرًا ماهرًا موفَّقًا، ويكسب من حر ماله، ليس لأحد عليه قوة تكسر إرادته، وتجرح مشاعره، وهذا من الأسس التي يجب أن تتوفر في المخطِّط الناجح.

إشارة

من وضع لنفسه رسالة، حدد لها أهدافًا، واجتهد في اختيار الوسائل التي تساعده في الوصول لها وتحقيقها؛ فرسالة النبي صلى الله عليه وسلم هي دين الإسلام العظيم، وليس الملك، ولا الجاه، وهذا ما تحصل لما تحققت الرسالة.

رابعًا: الحِلْمُ والحكمة، كان سيدنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم رأسَ الحكمة، وواسعَ الحِلم، ليس سريع الغضب، ولا يغضب إلا أن تُنتهَكَ محارمُ الله سبحانه وتعالى.

"علَّمنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم النظرَ إلى مآلات الأمور قبل اتخاذ القرار؛ فإن نجاح الدولِ المتقدمة اليوم يُنسَب إلى التخطيط الصحيح، ففيه تتحاشى الأخطاء، وتصغُرُ المشاكل، وتنجح المشاريع، وتقلُّ التكلفة، وبه أيضًا تحفظ النفوس"[10].

ومن حكمته أنه صلى الله عليه وسلم "نهج في خطته مسلكًا آخر، تمثل في عدم مفاتحته زعماء قومه بالدعوة قبل أن يشتد ساقها ويصلب عودها؛ وذلك لمعرفته صلى الله عليه وسلم بتقاليد بيئته وطباع أهل النفوذ فيها، وقدرتهم على تزييف وعي الرأي العام، وتجنيده للمحافظة على استقرار الأوضاع لصالحهم.. وقد نجح رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الخطة إلى أبعد حد؛ حيث استطاع أن يجنِّبَ الدعوة مواجهة مبكرة مع الملأ قد تعصف بها، وتشلُّ حركتها"[11]، وهذا ما جعلنا نورد هذه من نقاط القوة في خطته صلى الله عليه وسلم؛ لأنها أثرت في كثير من القوم، وأسلموا لله تعالى، واتبعوه صلى الله عليه وسلم.

إشارة

كيف لا تتمثل الحِلم، ولا تترك الغضب، وقد قال صلى الله عليه وسلم:

((لا تغضب، ولك الجنة))[12].

خامسًا: عدم التمييز، واستيعاب فئات المجتمع، ولأنه صلى الله عليه وسلم أرسل {رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107] كان حريصًا "ألا تنحصر الدعوة في مكان محدود، أو فئة اجتماعية معينة؛ لأن ذلك يحجم الدعوة ويورطها في متاهات الصراع الفئوي أو القبلي، أو المحور الجغرافي، فعمل – عليه السلام – ما في وسعه من أجل توسيع نطاق قاعدة الدعوة ليشمل معظم الجهات والفئات الاجتماعية.. وهكذا استطاعت الدعوةُ أن تستوعب فئات اجتماعية مختلفة، علاوة على إيجاد مواقع لها في جلِّ بطون قريش، وفي مناطق جغرافية متعددة، ولعل هذا الانفتاح المتوازن على الجميع أعان في انتشار الإسلام، مما كان له الأثرُ البالغ في تكوين رصيدٍ احتياطي وأرضيه صُلبة في غاية الأهمية بالنسبة للمراحل المقبِلة"[13].

المطلب الثالث

توضيح بعض ما اعترى تلك المرحلة من ضعف

إن من يقف عند ما يعتريه من ضعف، أو يتراجع دون أن يكون ذلك ضمن خطة إستراتيجية قد أعدها، فإن ذلك جبنٌ وخَوَرٌ، له من العواقب التي لا تحمد، والآثار التي لا ترجى من هدم للتنمية والتطوير المنشود.

إن الناظر في المجتمع المكي، وما جمع من قوة متعددة لإضعاف رسالة الدعوة التي تبنَّاها النبي صلى الله عليه وسلم – يدرك النجاح الباهر الذي حققه النبيُّ صلى الله عليه وسلم ضمن خطته الشخصية والاستشرافية التي كان يدرك جوانبها بدقة فائقة.

وقد ظهرت في تلك المرحلة عواملُ اعترضَتْ مسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن ذلك لم يمنعه من الثبات على خطته، بالرغم من أنك تجده صلى الله عليه وسلم في بعض الأحيان أرجأ تنفيذ بعض بنود الخطة إلى وقت آخر، لكن لم يتخلَّ عنها بسبب الصعوبات التي سنبحث جزءًا منها لاحقًا.

ولعلي أورد بعض ما اعترى تلك المرحلة من ضغوط، كان لها أثر في إعاقة مسيرة خطة النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الوقت، إلا أنها سرعان ما أصبحت من نقاط قوته صلى الله عليه وسلم، وذلك بالحكمة التي رزقه الله إياها،

ثم هو دليل على القدرة الفائقة لدى النبي صلى الله عليه وسلم، والدرجة العالية من التخطيط الإستراتيجي الشخصي؛ حيث إن "عملية التخطيط إستراتيجية؛ لأنها تتضمن اختيارَ ما هو أفضل، استجابة للظروف التي تشكل بيئة ديناميكية؛ فالتخطيط الإستراتيجي مَعنِيٌّ بالمستقبل؛ فهو يتيح لك توجيه المستقبل وإدارته، وبذلك فلا يلزمك أن تظل قابعًا في مكانك إذا تم اتخاذ قرار ما بطريقة خاطئة، أو إذا ما لم يتم اتخاذ قرار صائب، فلربما تتغير الظروف الخارجية من حولك بالكلية"[14]، وهي على النحو التالي:

أولاً: الإلحاح والتعجل، إن من لم يطلع على خطتك لا يدرك تفاصيلها التي تسير عليها خطوة بخطوة، "لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، فألح أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور، فقال: ((يا أبا بكر، إنَّا قليل))، لم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وقام أبو بكر في الناس خطيبًا.. وثار المشركون.. ووُطِئَ أبو بكر، وضُرِب ضربًا شديدًا.."[15].

إشارة

الناظر في عموم النقطة التي ذكرت يجد أنها تجاوز للخطة، إلا أنها أصبحت نقطة قوة؛ إذ أسلم حمزة بن عبدالمطلب – رضي الله عنه – نتيجة لها، مما رفع من شأن الدعوة وحماها.

ثانيًا: الخَلوة القصرية؛ حيث أقصر النبي صلى الله عليه وسلم نفسه مع أصحابه رضي الله عنهم في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي شهرًا، بعد ما تعرَّض له أبو بكر الصِّدِّيق –رضي الله عنه – من الأذى، وكان عددهم "تسعة وثلاثين رجلاً"[16].

وما كانت الخَلوة القصرية إلا تخطيطًا منه صلى الله عليه وسلم؛ للحفاظ على من أسلم، وللسيطرة على مسار خطته التي رسمها، وإعادة ترتيب الوسائل والأساليب التي من شأنها الحفاظُ على تحقيق الأهداف المنشودة.

"وهذا بطبيعة الحال جزءٌ من الخطة المرسومة؛ حيث كان اختيار دار الأرقم مقرًّا لاجتماعات الرسول صلى الله عليه وسلم، مستبعدًا لعقد هذه الاجتماعات فيه؛ لكون الأرقم من بني مخزوم، وهي العشيرة المنافسة لبني هاشم، ونظرًا لصغر سن الأرقم؛ حيث كان لا يتجاوز السادسة عشرة، وفي الوقت نفسه لم يعلن إسلامه بعد، وبهذا سارت الخطة كما رسم لها"[17].

إشارة

المخطِّط الناجح من يستفيد من تجرِبته وتجرِبة الآخرين، ولا يكرر الخطأ فيندم، ولا يجرب السم ليتأكد من فعاليته، والنبي صلى الله عليه وسلم رغب في الحفاظ على من معه لَمَّا رأى ما حل بأبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، حتى تبقى خطاه باتجاه الرسالة التي وضعها ضمن خطته الإستراتيجية.

ثالثًا: العفوية والارتجال: ظهر ذلك الأمر جليًّا عند إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فكان أول طلب له أن تعلن الدعوة؛ حيث أقبل عمرُ على دار الأرقم "فاستجمع القوم، فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر، قال: وما عمر! افتحوا له الباب، فإن أقبل قبلنا منه، وإن أدبر قتلناه.."[18].

إشارة

الارتجال من حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما كان من قوة إسلامه للدعوة، وبالرغم من اطلاع من كان في دار الأرقم على خطة النبي صلى الله عليه وسلم ورغبته في إسلام عمر بن الخطاب: ((اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصةً))[19]، لو نُفِّذ أمره دون تدخُّل النبي صلى الله عليه وسلم، لأضعف شوكةَ المسلمين..

واليوم "مما يجب الاعتراف به وجود قدر من العفوية والارتجال.. وهي مظاهر تدل على أن الصحوة – مع انتشارها وقوة زخمها – لم يصلب عودُها بعدُ، وليست قادرة على مواجهة الحضارة الجاهلية المعاصرة التي تسعى لاجتياح العالم تحت ستار (العولمة)"[20].

لقد ظهر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه – في أول لحظة من إسلامه – العفويةُ؛ إذ لم يكن بعدُ مطلعًا على خطة النبي صلى الله عليه وسلم، حين قال: "يا رسول الله، علامَ نخفي ديننا ونحن على الحق، ويظهر دينهم وهم على الباطل؟ قال: ((يا عمر، إنَّا قليل، قد رأيت ما لقينا))[21]، يقصد بذلك ما لقي أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهذا ما أوردته في نقطة الإلحاح والتعجل.

كانت هناك "أزمة في معرفة سنن الله في التغيير والهزيمة والنصر، لا ينقص الصحوةَ الإخلاصُ وحب التضحية؛ لكن هذين لا يكفيان، ولا ينقصها – كثيرًا – العلم الشرعي، لكن وجوده شيء، وفهمه والعمل الصحيح به أمر وراء ذلك"[22]، وهذا ما يدلل على أن ما دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وعمرَ بن الخطاب رضي الله عنه من حديثٍ، كان هدفه إيضاح الرسالة والرؤية والخطة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان حصاده عاجلاً؛ يقول عمر: "فخرجنا صفَّينِ، أنا في أحدهما، وحمزة في الآخر، حتى دخلنا المسجد، فنظرَتْ قريشٌ إليَّ وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة شديدةٌ، فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الفاروق) يومئذ، وفرق بين الحق والباطل"[23].

والذي أراه فيما جرى بين النبي صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن هذا من التخطيط الإستراتيجي قصير المدى؛ إذ ما لبث أن أعلن الإسلام بعد فهمه لمراد النبي صلى الله عليه وسلم وخططه.

إشارة

إن المخطط الناجح هو من يتجنب العفوية في تنفيذ مراده؛ لأن النجاح يعتمد بشكل أساسي على الخطوات المدروسة، والخطط المكتوبة غالبًا، مع معالجة ما قد يطرأ مما لم يكتب.

المطلب الرابع

تلخيص الحالة

إن من الأهمية بمكان أن يكون للمرء خطته الشخصية التي يستنير بها في سيره، وعمله، وحياته، وهذا ما دلت عليه الأحداث التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم في أول دعوته؛ حيث كان صلى الله عليه وسلم يدرك تمامًا ما يقوم به، ويصبِر نفسه ومن معه على تلك الأحداث.

إن بعض الناس يعزم على البدء بالتخطيط لنفسه، وسرعان ما يحبط مما حوله من أحداث ومثبِّطين؛ لذا فإن النجاحات العشوائية التي لا ترتكز على خطط لا تلبث حتى تسير أدراج الرياح، ولا يبقى لها الأثر الكبير المرجو منها، وبالرغم من ذلك لم يمنع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه من الشعور بالفرح والسرور من النجاح الذي انتصرت به الدعوة بإسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما، إلا أنه صلى الله عليه وسلم كان حريصًا على متابعة خطته والسير بها حتى تؤتي أكلها، مستفيدًا من الأحداث بكسب الناس، ضعيفهم وقويهم، سيدهم وعبدهم، لا يحقرن منهم أحدًا، ويتبع الحكمة والأسلوب الحسن في إطلاعهم على خطته ورسالته، حتى تبلغ من درجة اليقين عندهم مبلغًا لا يؤثر عليها شيء.

وهذا ما جعل الصحابة رضوان الله عنهم متمسِّكين بما آتاهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكلهم على قلب رجل واحد، وكأن خطة النبي صلى الله عليه وسلم هي خطةُ كل واحد منهم.

المبحث الثاني

تسليط الضوء على أحداث دار الأرقم بن أبي الأرقم

(البيئة الخارجية: التحديات والفرص)

ويشمل:

المطلب الأول: نظرة عامة على الحالة التي كانت موجودة في تلك الفترة.

المطلب الثاني: توضيح أهم التحديات التي رافقت تلك المرحلة.

المطلب الثالث: توضيح أهم الفرص التي رافقت تلك المرحلة.

المطلب الرابع: تلخيص الحالة.

المطلب الأول

نظرة عامة على الحالة التي كانت موجودة في تلك الفترة

لقد اشتد الأمر على النبي صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته، ولم يسلم معه إلا قليل، بل كانوا معروفين أفرادًا، وما منعه ذلك من المحافظة على رسالته، والثبات عليها، رغم العداء المستحكم، والاضطهاد البالغ، بل اجتهد في تطوير الخطة، واتخاذ وسائل جديدة ومبتكرة لتحقيق رسالته، وهذا ما يدل على قدرته صلى الله عليه وسلم العالية في التخطيط، ومهارته في اتخاذ القرارات؛ حيث من المعروف أن "التخطيط الإستراتيجي عملية مستمرة وعائدة، فلا يمكن أن تكون جهود الإدارة الإستراتيجية بمثابة نشاط لفترة زمنية واحدة، أو لها بداية ونهاية، بل يجب أن تكون عملية مستمرة تتراكم فيها الخبرات، ويتم تطوير هذه الخبرات من خلالها، ولعل أحد الأسباب الرئيسية التي تفسر استمرارية عملية التخطيط الإستراتيجي هي استجابته للظروف الخارجية التي لا تتوقف أبدًا، ومن ثم فيجب أن تظل الخطط والأدوات التي يتم تنفيذ تلك الخطط بها في حالة تعديل وتنقيح مستمر"[24]، ولعل هذا ما تميز به النبي

صلى الله عليه وسلم من بداية خطته وحتى يومنا هذا،؛ إذ إن شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان ما دامت السموات والأرض.

المطلب الثاني

توضيح أهم التحديات التي رافقت تلك المرحلة

إن من المنطقي أن يكون ما هو مستحدث في مجتمع اعتاد على أمور متفق عليها فيما بينهم، أن يكون مستهجنًا، وأن يقابل بالرفض والمحاربة، بل يصل الأمر أحيانًا إلى البراءة والقتال، وهذا ما حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت التحديات التي اعترضت خطته كبيرة وحساسة، كادت أن تودي بها لولا قدر الله تعالى؛ {اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} [الطور: 48]، ثم حسن تدبيره وتخطيطه صلى الله عليه وسلم.

إشارة

إن مجمل التحديات التي واجهت خطة النبي صلى الله عليه وسلم تؤكد على قوة تخطيطه، واستحكام خطته، وتنبُّئِه بما ستؤول إليه من نتائج إيجابية، وتحقيق الأهداف المخطَّط لها.

وإن أهم التحديات التي تعرضت لها خطة النبي صلى الله عليه وسلم، أجملها على النحو التالي:

أولاً: الإغراء: كثيرًا ما تنهار الخطط، وتهدم الترتيبات، أمام الإغراء المالي أو الجاه، خاصة إذا علمت أن الإغراء يفوق التصور المنطقي للحالة التي يكون عليها المغرر به، وقد عرضت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم إغراءً اعتبر تحديًا كبيرًا اعترض خطته؛ إذ إنه كان في تلك الحالة في أمس الحاجة للدعم اللوجستي؛ من مال وجاه وعزوة، إلا أن التخطيط السليم لا بد أن يؤتي أكله، ويفرح به صاحبه.

كان إغراء قريش تتويجه ملكًا، وتزويجه نساءً، وتسكينه قصورًا، وهذا مبتغى الإنسان في الدنيا ببساطة، وهو تحدٍّ قوي، قد يُودِي بالدول وليس برجل؛ فقد جاء عتبة بن ربيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: "إن كنت تريد مالًا جمعنا لك حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد شرفًا سوَّدْناك وملكناك.."[25].

الآن نحتاج إلى تثبيت القلب، وتأكيد على العهد، والتزام بالخطة، {فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الشورى: 36]، وهنا يظهر الصبر.

ثانيًا: الإيذاء النفسي والمخاصمة: حين يعجز الإغراء، يكون هناك تحدٍّ من نوع آخر أكثر قساوة، وأشد ضراوة، يكون فيه للكلمة صدى، وهذا التحدي لاقاه النبي صلى الله عليه وسلم، بل تجرأ بعضهم لإيذائه صلى الله عليه وسلم والتعرض له بالاعتداء الجسدي.

فبدأ المدرِكون لنجاح خطة النبي صلى الله عليه وسلم بنشر الأكاذيب، والطعن واللمز والاستهزاء؛ لأن من يدرك مآلات التخطيط هو ذلك الشخص صاحب الخبرة والدراية، وهذا ما دفع بقريش إلى إرسال عتبة بن ربيعة لنقاش النبي صلى الله عليه وسلم فيما أعلنه من الدعوة.. فقد كان عتبة على علمٍ واسع في فهم الرجال، وله نظر وخبرة في مآلات الأمور.

وبعد إقامة الحجة على سفيرهم عتبة، وإقراره بها، أعلن منحازًا لكفره وظلمه، وأصدر تعليماته وفسقه، بأن محمد ما هو إلا كاهن وشاعر ومفتر.. إلخ، واشتدت المخاصمة له صلى الله عليه وسلم، ترافقها الشتيمة، والطعن، والقذف، وهذا وغيره ما سبَّبَ الإيذاءَ النفسيَّ للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه رضي الله عنهم.

إشارة

إن بعض المثبطين يحاولون أن يظهروا للمخطِّط أن نقاط قوته تشكل له تحديًا، مما يزرع الهزيمة النفسية بداخله، ويدعوه لترك التخطيط واستكمال التنفيذ..

ثالثًا: إيذاء الصحابة ومَنَعَةُ رسول صلى الله عليه وسلم؛ فعن أم سلمة رضي الله عنها: أنها قالت: (لما ضاقت علينا مكة، وأوذي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في مَنَعَةٍ من قومه وعمِّه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه...).

ولعله من أصعب التحديات في تلك الفترة: أن يرى أصحابه في اضطهاد وتعذيب، وهو صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يدفع عنهم ذلك البلاء؛ يقول خباب بن الأرت – رضي الله عنه –: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسدٌ بردةً له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: ((قد كان مَن قبلكم، يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون))[26].

رابعًا: التعدي، وإلحاق الأذى الجسدي: لم يكن يتصور صحابةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، أن يصل الأمر بقريش إلى الاعتداء على الأحرار والأسياد ممن أسلموا، ناهيك عن الشك في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، أو التعرض له، وهو من أصل معروف، ومكانة مرموقة، وسيرة طيبة عطرة.

تعرَّض النبي صلى الله عليه وسلم للطعن والشتم من خاصة عشيرته دون غيرهم، إلا أن الأمر لم يطُلْ؛ حيث اشتد عليه اللمز والهمز بعد إعلان الدعوة وخروجها من دار الأرقم بن أبي الأرقم؛ حيث اعتبرت قريش هذا إعلان حرب عليهم وعلى ما يعبدون من دون الله، وهذا له ما له من تأثير على القوافل والتجار والزائرين للبيت العتيق، وينال من هيبة قريش أمام الآخرين.

النبي صلى الله عليه وسلم كان يدرك أن هذا التحدي سيكون أكثر وقعًا على نفوس أصحابه – رضي الله عنهم – ومن هنا نؤكد على أن "عملية التخطيط تكون إستراتيجية؛ لأنها تتضمن اختيار ما هو أفضل استجابة للظروف التي تشكل بيئة ديناميكية، وربما في بعض الأحيان عدائية"[27].

"وباستقراء الأحداث والكشف عن مكنون الخطة النبوية، نرى أن الهدف من هذا الانضباط النفسي العالي هو تمكين كل فرد من قراءة حساب دقيق، ليس لنفسه كفرد، ولا لبعض إخوانه فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى التقدير الجيد.. المفضي بهم إلى الخروج من ذواتهم إلى الدوران مع مصلحة دعوتهم ومشروعهم الحضاري"[28].

وفي ذات الوقت يعلم صلى الله عليه وسلم لما استشرفه من حسن التوكل، ومن ثم مطالعة الأحداث الماضية ودراسة الحاضر: أن إشراقة المستقبل واعدة.

خامسًا: المقاطعة، "اعتبرت قريشٌ المسلمين عصاة ثائرين، فاستباحت في الحرم الآمن الدماء والأموال.. فعزمت على عقد معاهدة تعتبر فيها المسلمين ومن يرضى بدينهم أو يعطف عليهم أو يحمي أحدًا منهم حزبًا واحدًا؛ فاضطر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه إلى أن يلتجئوا إلى شِعْبِ بني هاشم.. واشتد الحصار على المسلمين؛ فقل غذاؤهم وكساؤهم، وبلغ بهم الجهد أقصاه.."[29]، وكانت هذه من أصعب التحديات التي تواجه رسالة تسعى للعالمين، والوصول لأكبر عدد ممكن، والظاهر أن هذا التحدي يتكرر منذ النبي صلى الله عليه وسلم، ومن قبله، ومن بعده، حتى يومنا هذا.. لكن المخطِّط المتقِن هو مَن يجعل هذا التحدي حافزًا له للنجاح[30].

إشارة

ليس مِن التخطيط السليم أن ينبري المخطط من خطته عند أول منعطف، بل من الأهمية بمكان أن يدرك جيدًا أنه ليس سهلاً أن يصل إلى مبتغاه دون التعرض للتحديات، ومواجهات بعض الصعوبات.. وليس كل تحدٍّ معول هدم للخطة، بل لربما يكون عونًا لصاحبها للثبات والإصرار على تحقيقها.

المطلب الثالث

توضيح أهم الفرص التي رافقت تلك المرحلة

إن المخطِّط الناجح من يكسب الفرص، غير ملتفت لدِقِّها أو جِلِّها؛ فكل فرصة تتحول لنقطة قوة في خططك إذا ما كنت مُعِدًّا تلك الخطة في ضوء التوكل والأخذ بالأسباب، مستفيدًا من الأحداث التي جرت، ومراعيًا الأحوال التي تجري.

أولاً: الاستفادة من الوقت، لقد استفاد النبيُّ صلى الله عليه وسلم من الوقت بشكل دقيق؛ لأنه على علم ودراية تامة – وفقًا لخطته – بأن قريشًا لن تصمت طويلاً على الدعوة؛ فهي جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولن يروق ذلك لقريش وزعمائها؛ أن تنزع عنهم عمامة سدة القوم؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم: "ظل يدعو الناس إلى الدعوة الإسلامية سرًّا وجهرًا، وكفار قريش غير منكرين لما يقول، وإنما يشيرون إليه إذا مر عليهم في مجالسهم.. حتى عظم ذلك على قريش، وبدؤوا ينكرون عليه، وقام الصراع"[31].

إشارة

لا تؤجل عمل اليوم إلى غد.. ولا تفرِّط فيما لديك من وقت؛ فهو لا يقدر بثمن، ولا يستعاض عنه بعوض.

ثانيًا: دار الأرقم بن أبي الأرقم، تعد دار الأرقم – رضي الله عنه – إحدى الدور التي كان لها دور هام في تاريخ الإسلام؛ فقد كانت المحضن التربوي الأول الذي ربى النبي صلى الله عليه وسلم فيه طليعةَ أصحابه الذين حملوا معه المسؤولية الكبرى في تبليغ رسالةِ الله تعالى.

لكن كيف نعد هذه من الفرص في خطته صلى الله عليه وسلم؟ استفاد النبي صلى الله عليه وسلم من عداوة بني مخزوم المعروفة لبني هاشم، ومنافستهم على الزعامة، وسريَّة إسلام الأرقم – رضي الله عنه – فاختار داره مقرًّا له، وهذا ما لا يخطر على بال قريش، أن يكون اللقاء في قلب صفوف العدو.

والذي أريد إيصاله أن بداخل كل صعوبة تواجهها تكمن فرصة، ومن المعلوم في قواعد التجارة: أن العلاقة بين نسبة الخطورة ونسبة الربح علاقة طردية.

ثالثًا: التحالفات، والعهود: إن من الفرص التي استفاد منها النبي صلى الله عليه وسلم ما عهد به عمه أبو طالب، ومَنَعَته له من قريش، وفي هذه الأوقات جهد النبي صلى الله عليه وسلم لزيادة عدد المسلمين، وإعطائهم القدر الكافي من التعاليم، ولم يركن إلى أنه بمأمن؛ فالتخطيط يدعو للاستفادة من كل ما هو متوفر للوصول لما هو غير متوفر.

رابعًا: موسم الحج، والتجمعات "لقد استفاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من موسم الحج، فبلَّغ تبليغًا مباشرًا – على مدى سنوات – كل من استطاع الوصول إليهم"[32].

حتى تحقق الهدف واستفاد من فرصة الحج بعد مرور بعض من الزمن، "ففي موسم الحج في السنة الحادية عشرة من النبوة دخلت الكوكبة الأولى من خزرج المدينة في الإسلام، وكانوا ستة، وعادوا دعاة ومبشرين، ففشا ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة.. وفي السنة الثانية عشرة وفي موسم الحج كانت بيعة مع اثني عشر نفرًا من المدينة.. وانتشر الإسلام بالمدينة.. وفي موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من البعثة تمت بيعة العقبة الثانية مع بضعٍ وسبعين نفرًا من أهل المدينة المنورة"[33].

إشارة

التخطيط الجيد يؤتي أكله لا محالة، إنما هو الصبر، وهذا ما أوردته آنفًا، وأشرت إليه بعدم التعجُّل والإلحاح في الأمر، وطلب الثمار قبل نضوجها.

المطلب الرابع

تلخيص الحالة

ليس منطقيًّا أن تواجه تحديات تفوق الطاقة باللامبالاة، ثم تنتظر نتائج النجاة، كالذي ألقي بالماء وهو لا يعرف السباحة.

إن الارتجال لا يجدي كثيرًا من النفع عند من ارتقى طموحه، وعلت همته، بل لا بد من تفكير منير، وتخطيط متقن؛ "فالتخطيط يقسم حياتك إلى مراحل ومحطات، تقف عند كل محطة منها؛ لتراجع نفسك وتقيِّمها، كما أنه يُعينك على ترتيب الأولويات، ويجعلك تقسم وقتك على وفق هذه الأولويات"[34].

ثم إن العاقل لا يترك ما يمكن الاستفادة منه لحين الحاجة، بل يحتفظ به، وينميه، ويتدرج في استخدامه، بما يناسب المرحلة، والزمان، والظروف المحيطة، والأحداث الجارية.

وكما قيل: إن الفرص لا تتكرر، وإن حصل ذلك فهي أقل فائدة مما كانت عليه بداية، وإذا هبت رياحُك فاغتنمها..

المبحث الثالث

التصور العام للخطة الاستشرافية للنبي صلى الله عليه وسلم

إن الخطة المحكَمة تستدعي تعميق البحث، وتكثيف الجهود؛ لضمان انطلاقة سليمة موفقة "وليس المعنى من التخطيط أن ترسم الطريق إلى الهدف فحسب، بل أن تستشرف العقبات والمعوقات، وتسعى في إيجاد الحل الملائم لها مسبقًا"[35]، و"الرؤية والهدف الإستراتيجي الشخصي لا يشمل تحقيق أغراض ذاتية فقط، وإنما يمتد ليشمل المجتمع.. ولا ينتهي التخطيط الإستراتيجي الشخصي بالحياة الدنيا، وإنما يمتد ليشمل الدار الآخرة؛ فأي تخطيط لا يساعد صاحبه للعبور بسلام للدار الآخرة هو تخطيط قاصر، متاعٌ لعددٍ من السنوات، وخسارة مؤبدة في الآخرة؛ إذ إن مفهوم الرؤية الشخصية يعبر عن الحُلم الشخصي، أو الوضع الذي يرغب الشخص في تحقيقه في نهاية الإستراتيجية الشخصية، إن مفهوم الإدارة الإستراتيجية يقوم على تحديد وتحقيق الحُلم الوطني.. وبالتالي فإن مفهوم الرؤية الشخصية يجب أن يعبر عن جانب مما تود أن تكون عليه الدولة في المجال المعين، فيتم تحديد الحُلم الوطني في هذا الإطار، مما يعني مراعاة القدرات الشخصية للأفراد، ومراعاة المصالح الوطنية في ذات الوقت"[36].

فالنبي صلى الله عليه وسلم حصر علم الغيب المطلق في الله تعالى سبحانه، ولم يمنع ذلك من التخطيط والتنبؤ بالمستقبل ضمن المعطيات والأحداث، وهي قراءة استشرافية صحيحة، وهذا ما أجازه صلى الله عليه وسلم، "وبهذا قدم للبشرية خدمة عظيمة؛ لأنه وجهها إلى دراسة المستقبل وفق أسس علمية سليمة، ومنع طاقتها من أن تهدر في الخرافة والخطأ والضلال، فلا عجب إذًا أن يسبق المسلمون إلى اكتشاف المنهج التجريبي في العلوم، وأن يؤسسوا بعضها لأول مرة؛ كعلم الاجتماع، وتفسير التاريخ والجغرافيا البشري.

توقع المستقبل والتخطيط له أمورٌ لا تتعلق فقط بمجال الاعتقاد والعمل، بل أيضًا بالأدب، وقد نبهنا نبينا العظيم عليه الصلاة والسلام على مجموعة من الآداب التي ينبغي للمسلم أن يتخلَّق بها ويراعيها في تعامله مع الزمان الآتي، وأذكر منها: الاستثناء في المستقبل: وهو من أهم آداب المستقبلية، ومعناه أنك حين تتوقع أمورًا ما أنها ستكون، فإنك – بقلبك ولسانك – تربط ذلك بمشيئة الله سبحانه، مهما كانت درجة الاستشراف وقوته، كأنك تُقرَّ بأن تدبيرك أو تدبير غيرك مرهونٌ ومشروط بإرادة الباري التي أحاطت بكل شيءٍ"[37].

وحين "نتحدث فيه عن عبقرية النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهو القدوة والأسوة الحسنة، فما كان يعزم على أمر إلا وقد خطط له تخطيطًا بارعًا، بعد أن طلب المدد الرباني والعون الإلهي،... وهنا قد يبدو للبعض ثمة تعارض بين التخطيط للمستقبل وبين التوكل على الله، فيأتي ابن عطاء السكندري – رحمه الله – ليضع النقاط على الحروف، ويرد الأمور إلى نصابها الصحيح، فيقول: (إن التسبُّبَ لا ينافي التوكُّلَ)؛ أي: إن الأخذ بأسباب النجاح في الحياة لا ينافي أبدًا كونك متوكلًا على الله"[38].

والقارئ لأحداث السيرة النبوية المطهَّرة يجد ذلك واضحًا في تصرُّفات النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله؛ فهو هادئ لا ينفعل، بالرغم من الأحداث العظام التي كانت رحاها تدور حوله، بل تجده يأخذ بالمشورة، ويتأنى، ويزِنُ الأمر، "وكان صلى الله عليه وسلم على وعيٍ وإدراك بأن عدم التخطيط المحكم لضبط العلاقة مع المحيط بكل مكوناته ومؤثراته سيؤدي حتمًا إلى الاصطدام به، والدخول معه بمرور الأيام في مواجهة غير متكافئة.."[39].

الخاتمة، نسأل الله حسنها..

إن اتساع الموضوع وتشعُّبَه يجعلك حائرًا كيف تختم فصوله، وتغلق أبوابه؛ ولهذا سيبقى المجال مفتوحًا أمام الباحثين والمختصين للغوص فيه، واستخراج درره، والتباهي بجواهره؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم كشف منهج التعاطي مع قضية المستقبل؛ فقد أخبرنا أنه لا يعلم الغيب، إلا ما أطلعه الله على بعضه مما يتعلق بالرسالة؛ ولذلك تجده صلى الله عليه وسلم يتحرك في إطار سنن الله في خلقه كسائر البشر في توقع المستقبل والإعداد له.

والتخطيط وسيلة غاية في الأهمية لحسن التنبؤ والتوقع الصحيح، ومراعاة مآلات الأمور، وهو تمييز عظيم الشأن يقدره أهل الاختصاص.

فلا بد من تخطيط محكَم، وعمل متقن؛ لتصل لنجاح مبهر، أما أن تطلب الوصول دون أن تسير فهذا ليس بالأمر اليسير.. ومن جد وجد، ومن زرع حصد، والمعالي تحتاج لوثبة أسد..

وفي ختام بحثي هذا، وما أبرئ نفسي، إنني بشر، أصيب وأخطئ ما لم يحمني قدر.. وأبرئ الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من أي خطأ ورد فيه، أو خلل، أو زلل.. والله خيرٌ حافظًا، وهو: {يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النور: 46].

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

1 من مقال (التخطيط في الإسلام) للدكتور محمد بن علي شيبان العامري.

2 الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف، 1425هـ 2004م، ص 54 رقم 257.

3 البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الرياض، دار السلام، 1419هـ – 1999م، ص 1197 رقم 6943.

4 ابن كثير، إسماعيل، السيرة النبوية، بيروت، دار المعرفة، 1396هـ – 1976م، ج الأول، ص 428.

5 الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، القاهرة، المكتبة التوفيقية، 1422هـ، ج الأول، ص 80.

6 أمحزون، محمد، منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، دار السلام، القاهرة، ط1، 2002م ص110.

7 النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، رقم 1370، الراوي علي بن أبي طالب – رضي الله عنه.

8 السيرة النبوية، ص 394، سبق ذكره.

9 سير أعلام النبلاء، ص95، سبق ذكره.

10 قشوع، عبدالرحمن عبداللطيف، الأردن، مكتبة الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير (استشراف المستقبل في الأحاديث النبوية)، 2005م ص101.

11 منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة، ص112، سبق ذكره.

12 الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع، رقم 7374.

13 منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة، ص 113، سبق ذكره.

14 من مقال (التخطيط الإستراتيجي) محمد حسن يوسف، موقع صيد الفوائد، 2008م بتصرف.

15 السيرة النبوية، ص 439، سبق ذكره.

16 السيرة النبوية، ص 441، سبق ذكره.

17 من مقال: (مفهوم التخطيط في الإدارة الإسلامية) للفريق/ عبدالعزيز بن محمد هنيدي.

18 سير أعلام النبلاء، ص 109، سبق ذكره.

19 السلسلة الصحيحة، رقم 3225، سبق ذكره.

20 من مقال: (الصحوة .. المواجهة وأزمة التخطيط) للدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي، موقع صيد الفوائد بتصرف.

21 السيرة النبوية، ص441، سبق ذكره.

22 من مقال (الصحوة .. المواجهة وأزمة التخطيط) للدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي، موقع صيد الفوائد.

23 سير أعلام النبلاء، ص110، سبق ذكره

24 من مقال (التخطيط الإستراتيجي) سبق ذكره.

25 سير أعلام النبلاء، ص95، سبق ذكره.

26 صحيح البخاري، سبق ذكره.

27 من مقال (التخطيط الإستراتيجي) لمحمد حسن، سبق ذكره.

28 منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة، ص 118، سبق ذكره.

29 خطاب، محمود شيت، الرسول القائد، دار الفكر، بيروت، ط1، 2002م.

30 تعقيبًا أقول: (ولعل ما ظهر من تطور في أساليب ووسائل المقاومة الفلسطينية في معركة العصف المأكول 2014م مع العدو الصِّهْيَوني، بعد مُضيِّ أكثر من ثمانية أعوام من الحصار والمقاطعة لقطاع غزة – يدلل على أن هذا التحدي يجعل لديك حافزًا للنجاح والتميُّزِ أيضًا).

31 المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية، الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ج2، 1985م.

32 حوى، د. سعيد، الأساس في السنة وفقهها، دار السلام، مصر، ط1، 1989م.

33 الأساس في السنة وفقها، سبق ذكره، بتصرف.

34 إدارة الذات، الدكتور أكرم رضا.

35 العالم الإداري: هنري فايول.

36 من مقال (التخطيط الإستراتيجي الشخصي) للدكتور محمد حسين أبو صالح، السودان بتصرف.

37 استشراف المستقبل في الحديث النبوي، د. إلياس بلكا، 2008م.

38 إدارة الذات، الدكتور أكرم رضا.

39 منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة، ص 119، سبق ذكره.

قائمة المراجع

الكتب

1- القرآن الكريم.

2- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، السيرة النبوية، بيروت، دار المعرفة، 1396هـ 1976م.

3- أمحزون، محمد، منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، دار السلام، القاهرة، ط1، 2002م.

4- بلكا، د. إلياس، استشراف المستقبل في الحديث النبوي، 2008م.

5- خطاب، محمود شيت، الرسول القائد، دار الفكر، بيروت، ط1، 2002م.

6- رضا، د. أكرم، إدارة الذات.

7- قشوع، عبدالرحمن عبداللطيف، الأردن، مكتبة الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير (استشراف المستقبل في الأحاديث النبوية)، 2005م.

8- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الرياض، دار السلام، 1419هـ 1999م.

9- الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف، 1425هـ 2004م.

10- الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، القاهرة، المكتبة التوفيقية، 1422هـ.

11- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، مختصر صحيح مسلم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000م.

12- المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية، والعاشر لمجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ج2، 1985م.

المقالات

1- (التخطيط في الإسلام) للدكتور محمد بن علي شيبان العامري.

2- (التخطيط الإستراتيجي) محمد حسن يوسف، موقع صيد الفوائد، 2008م.

3- (مفهوم التخطيط في الإدارة الإسلامية) للفريق/ عبدالعزيز بن محمد هنيدي.

4- (الصحوة.. المواجهة وأزمة التخطيط) للدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي، موقع صيد الفوائد.

5- (التخطيط الإستراتيجي الشخصي) للدكتور محمد حسين أبو صالح، السودان.